س/ ما هي اهم نتائج التبادل الحضاري العربي الهندي

المبحث الثالث : التبادل الحضاري العربي الهندي

كان من نتائج فتح العرب المسلمين الهند، انهم شيدوا المساجد على الطراز الاسلامي، وادخلوا الفن المعماري العربي الذي اختلط تدريجيا بالفن الهندي ليصبح فنا معماريا عرف بالفن المعماري الشرقي الذي خلا من التعقيد والبهرجة مع مافيه من رونق وبساطة وجمال، على حد قول الزعيم الهندي جواهر لال نهرو(١)

وما المبنى العظيم المسمى «البابن الاعظم» الذي بناه ملك مالابار في كوئل بجنوب الهند الا النموذج لهذا الطراز الهندي العربي، وكان طوله خمسمائة خطوة وهو مطوي بالحجارة الحمر المنحوتة وعلى جوانبه ثمان وعشرون قبة من الحجر في كل قبة اربعة مجالس من الحجر، وكل قبة يصعد اليها على درج من حجارة وفي وسطه قبة كبيرة من ثلاث طبقات وفي كل طبقة اربعة مجالس وانشأ بجانب هذا البابن الاعظم جامعا كبيرا شاهده ابن بطوطة واعجب به(٢).

ومن الخدمات الجليلة التي قدمها العرب للثقافة الهندية ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الهندية زمن مهروك بن رائق ملك الور الهندوسي سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م الذي طلب من عبد العزيز الهباري ملك المنصورة والذي بدوره اسند هذه المهمة الشاقة الى عالم عراقي لم يتف المؤرخون الهنود على اسمه، كما يقول الندوي والباركيوري وهما هنديان ارخا لتاريخ الاسلام في الهند.

الحضارة العربية الاسلامية عالمية ومؤثرة ابان القرون الواقعة بين القرنين الثاني والخامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين، في ظل الدولة العربية التي امتدت من اسيا الوسطى حتى الاندلس، ففي الهند حكمت سلطنة دلهي مدة تزيد على ثلاثة قرون من ٦٠٢-٩٦٢ هـ / ١٢٠٦-١٥٥٥ م سادت خلالها الثقافة العربية الاسلامية في اجزاء واسعة من بلاد الهند(٣)

---

١ - لمحات من تاريخ العالم، ص ٣٠

٢ - رجال الهند والسند، للباركيوري، ص ٢١٥

٣ - المصدر السابق نفسه، ص ٩٣ ومابعدها

كبير رماناندا - الرامانجي

٤ ـ ونتيجة التسامح الذي اتبعه بعض حكام هذه السلطنة وبمساهمة الصوفية والعلماء المسلمين، زالت الحواجز التي بين المجتمعين الاسلامي والهندي، فقد قدم الصوفية العقيدة الاسلامية الخاصة بوحدة الله الى الهندوس على صورة «وحدة وجود الله» وقد جذبتهم لان لها شبها بفلسفتهم المسماة «فيدانتا» فضلا عن فكرة الاسلام في المساواة والاخوة التي شدتهم برغبة الى التحول الى الاسلام، وكان اول التأثيرات لهذا الاتصال في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي هو التأثير الثقافي الذي تركه الاسلام في الحياة الدينية الهندية والذي اتخذ من الحركة البختيه صورة له. ان هذه الحركة عدت الحب والتبكريس والايثار جوهر الدين وخلقت جوا من الانسجام الروحي بين اتباعها من مختلف الاديان.

والى «كبير» احد تلامذة «راماناندا» يعزى انتشار عقيدة الرامانجي في القرن الخامس عشر الميلادي في ارجاء الهند الشمالية والتي جذبت معظم الهندوس وعددا من المسلمين، فقد تغنى «كبير» هذا بالحب والايثار وبعظمة الله التي تتخطى حدود الفهم البشري لكنه رفض الطقوس وشعائر الصلاة.

٤ ـ ويمكن ان نلمس هذا التأثير المتبادل بشكل واضح في حقل الفنون الجميلة ولاسيما في الموسيقى التي ترتبط بطقوس العبادة الهندوكية وهو ما انجذب اليه المتصوفة المسلمون.

ـ ان الوسط الرئيسي الذي عبر المسلمون بوساطته عن احساسهم بالجمال كان فن العمارة الذي تمازج فيه الفكران العربي الاسلامي والهندوكي واثر كل منهما في الاخر ويعد مسجد محافظ خان الذي بني في القرن الخامس عشر الميلادي وضريح ابي تراب في القرن السادس عشر الميلادي امثلة شاخصة على هذا التأثير. وهذه الصلات الحضارية بين الهندوك والمسلمين تبدو اشد واعمق في الدويلات الاسلامية المستقلة التي ظهرت خلال تدهور سلطنة دهلي كالبنغال والدكن وكشمير وغيرها(٠).

٥ ـ ان ابهى اوقات ازدهار العمارة الاسلامية في الهند كان زمن الحكم المغولي والى هذه الحقبة تعود قلعة (اغرا) والعاصمة الاثرية المهجورة (فاتح بورسكري) وضريح اكبر الفخم المسمى (سكندرا). وتاج محل الذي بناه الامبراطور شاه جهان ١٠٣٧-١٠٦٩ هـ / ١٦٢٦-١٦٥٨ م لزوجته الاثيرة (ممتاز محل) واستغرق بناؤه اثنتي وعشرين عاما واشتغل في عمارته عشرون الف

ممتاز محل

(٢٧ ك)

كتاب الدنيا جهان جهان

معامل يوميا، وهو بناء من الرخام النقي المتسلق الالوان على شكل مربع تعلوه قبة كبيرة تحيط بها اربع قباب صغار وفي اركانه الاربع ار- مآذن شامخة ترتفع من مستوى الدكة التي شيد عليها البناء، وهو مزود بزخارف ومداخل ذات طرز اسلامية تتصدره حدائق غناء تزينها نافورات كثيرة. وهناك امثلة لعمائر ومساجد ومنائر واواوين واسقف واروقة ودهاليز بنيت في بيجابور بالدكن، ومائر في بيهار، وراج محل في شمال بيهار على نهر الكنج ومناطق اخرى من بلاد الهند لامجال لذكرها جميعا.

ـ لقد رعى السلاطين المغول مختلف نواحي الفكر وفنون التصوير والرسم والموسيقى والاخيرة حظيت برعاية خاصة من لدن السلطان اكبر الذي منح بعض المغنيين والموسيقيين لقب امير وانشأ لهم ديوانا خاصا بهم. واستعملوا الى جانب ما استعملوا الالات الموسيقية الهوائية والوترية كالنقارة والطبل والدف والربابة والمندل وغيرها، والتي سميت باسمائها العربية نفسها.

ـ ولقيت المرأة الهندية احتراما ومكانة بفضل التعاليم الاسلام التي رفعت من قدر المرأة الاجتماعية في التملك والارث والتعليم والنشاطات الاخرى.

نذكر منهن في هذا الصدد، «سلمة» زوجة الامبراطور اكبر التي عرفت بثقافتها وبنظمها للشعر وباقتنائها للكتب النادرة. وكانت «غوليدن بانو» اخت الامبراطور همايون قد دونت سيرة اخيها في كتاب بعنوان «همايون نامه» كما انها تعاطت نظم الشعر وحفظه. وكانت الاميرة «حلية النساء» ابنة الامبراطور اورانزيب المسلم سيدة موهوبة حفظت القرآن وبرعت في الخط والشعر وكانت لها مكتبة زاخرة بالعديد من المصنفات والكتب النادرة.(١)

وتشكل التجارة وما يحلق بها وهو كثير مظهرا حضاريا، ونصيبها في العلاقة العربية الهندية كبير جدا، فالسيوف الهندية نالت شهرة عند العرب، حتى ان العرب سميت السيف المصنوع من الحديد بالمهند وقالوا سيف هندي وهنداوي اذا صنع في بلاد الهند، واشتق منه، هند السيف اي شحذه، وقال قائل منهم : كل حسام محكم التهنيد، والاصل في التهنيد عمل الهند، وسموا كثيرا من نسائهم هند كما سموا هند الهنود. واستوردوا من الهند الاحجار الثمينة كالماس والدر والبلور، وانواع الطيب كالكافور والمسك والصندل والعود والعنبر، والاخشاب كالساج والقنا والخيزران، والمنسوجات كالشال والفوطة، والالوان والاصباغ كالورس والقرمز والنيلج، والحيوانات كالفيلة والطاووس والكركدن والجاموس، والمعادن وانواع من الحلوى والخمور(٢).

---

١ ـ رجال الهند والسند ص ١٠١ و ١٠٢

٢ ـ تاريخ الصلات ... ص ٢٣

ومن مظاهر هذه العلاقة والتأثير الحضاري بين العرب والهنود، اننا نجد عشرات الكلمات الهندية مستعملة في العربية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، من هذه الكلمات المعربة الموز واصله في السنسكريتية «موجا»، والكافور واصله في السنكريتية «كابورا» والمسك واصله في السنسكريتية «مشكا» والليمون وهو عندهم «ليمو» والعنبة واصلها «امبا» والنارجيل اصله «ناريكيلا» والفلفل وهو في السنسكريتية «بيبيلي» ومن المظاهر الحضارية المتبادلة، استعمال الادوية المفردة التي تتلاءم وطبيعة الارض في بلاد العرب وبلاد الهند. وعلى هذا الاساس دخلت ادوية هندية الى الجزيرة العربية مثل الذريرة وهي دواء هندي يتخذ من قصب الذريرة وهي حارة يابسة تنفع اورام المعدة والكبد والبثرة وتقوي القلب لطيبها، وقد روي ان الرسول (ص) قد اصيب ببثرة في اصبعه وتداوى بها. واستخدموا العود الهندي في علاج امراض البرد، ومن الادوية الاطريفل وهو في الهندية «تريفل» والهليلج وهو عندهم «هرا» «والبليلج» واصله «بيهيرا»[1].

وتعد الوراثة عنصرا فاعلا في الامتزاج بين العنصرين العربي والهندي، ذلك الامتزاج الذي تمخضت عنه الفتوحات العربية الاسلامية لبلاد الهند، عن طريق الزواج والتناسل فهناك اسر وعوائل استوطنت السند والهند تماما كما استوطنت عائلات عربيات في خراسان وبخارى وسمرقند ومعظم المناطق التي وصلت اليها فتوح العرب، وهناك هنديات دخلن بلاد العرب وتزوجن وانجبن، نذكر منهن «خولة» زوجة الامام علي (رض) التي انجبت محمد بن الحنفية وكانت سندية سوداء أمة لبني حنيفة، وتزوج الامام الحسين (رض) سندية اسمها سلافة وانجب منها زين العابدين. وان عمر بن هبيرة الفزاري تزوج من جارية سندية تسمى حبلبة وانجب منها ابنة يزيد الذي تولى امارة العراق زمن بني امية. وفي العصر العباسي تدفقت الهنديات زيادة من السند ومن كجرات جنوب الهند على بلاط الخلفاء في بغداد وامتلأت بهن الاسواق والندوات ودخلن بيوت العرب سيدات ومربيات ومغنيات ... وبنتيجة هذا الامتزاج البشري ظهر جيل من العرب الذين يعود في انسابهم الى اصول هندية، زاولوا مختلف ميادين العمل في المجتمع العربي الاسلامي، ففي مجال السياسة والادارة نذكر السندي ابن شاهك الذي عمل في خدمة الخلفاء العباسيين المنصور والمهدي والرشيد وهو الذي قام بمهمة قتل جعفر البرمكي بامر

---

١ ـ تاريخ الصلات، ص ٢٥.